

# أسرار تونسية

بقلم - دومنيك ميرل  
كاتب سياحي وخبير يعمل في مونتريال

تونس، هذه الجوهرة الصغيرة، ما تزال غير معروفة لأغلب أهالي أمريكا الشمالية، وأناس كثيرون لا يعرفون أين تقع، هل هي في أوروبا؟  
← آسيا؟ وكثيرون لا يعرفون ما هي، هل هي جزيرة؟ أم هل هي قارة مفقودة؟



الأبواب والنوافذ التونسية الملونة تشبه اللوحات الفنية.

Colorful doors and windows of Tunisia resemble paintings.

اكتشفوها بأنفسهم وهم يهرعون كل صيف إلى هذه الشواطئ، وأحيانا يطلق عليها اسم "بولينيسيا المتوسطية". لقد كان الجو باردا جدا لا يسمح بالسباحة خلال وجودي. ولكنني سأذكر جربة للطعم اللذيذ للسمك المشوي عشاء في مطعم يدعى "هارون". وكان طعم السمك طيبا جدا فأكلت اثنتين.

ومن جربة توجهنا جنوبا نحو مدينة تطوان، ولم تكن في برنامجنا. ولكن كانت إكرامية من منظم الرحلة. لقد أراد أن يرينا كيف أن البربر ما زالوا يعيشون في مساكن مثل الكهوف محفورة في الجبال ذات التركيبة الكلسية. وقد زنا واحدة من هذه العوائل مكونة من ستة أنفار، زوجين وأربعة أولاد. وكان البيت من الداخل متواضعا ولكنه نظيف وأكبر مما توقعنا. والطبخ يتم على نار في العراء، والماء يجلب من عين قريبة.

والرحلة شمالا من هنا إلى مدينة القيروان في وسط البلاد طويلة جدا، وهي ثاني أكبر قصبة أو مدينة في تونس. وبالإضافة إلى كونها مركزا تاريخيا ودينا. فالقيروان هي أيضا مركز للحرف. وبعض أنواع السجاد الفاخر في العالم تنسج هنا. وأيضا بعض الرديء منها. ولذا عليكم بالحذر عندما تلجوا دكاكين هذه القصبة الكثيرة. والأفضل أن يصاحبكم شخص يستطيع أن يكتشف الغش فيها.

وهناك فارق شاسع بين وسط تونس. بأهله وتقاليده الغارقة في القدم، والساحل. مع سمته الطبيعية الغربية. ولقد قطعنا هذا التحول على مدى ساعة من القيروان إلى منتجع سوسة في الساحل الشرقي. وهي مدينة حديثة لها ملامح مدينة متوسطية بلا شك. والمنطقة تشمل ميناء الكنتاوي. أول وأكبر مركب سياحي منظم. وكذلك مرفأ لنحو 300 يخت. وإذا

يزورون الساحل الشمالي لأفريقيا. ينتقلون في العادة من المغرب إلى مصر حتى من دون إلقاء نظرة خاطفة على أي شيء بين البلدين.

لقد شاهدت الكثير من تونس خلال الأيام العشرة. على الأقل نسبة الثلثين منها. وبعد وصولنا إلى تونس العاصمة. بدأت جولتنا في مدينة توزر في وسط البلاد قرب الحدود الجزائرية. وتحتوي توزر على غابة عظيمة من النخيل قبل أنها قرابة 1.6 مليون نخلة. ومن هذه المنطقة تأتي أفضل تمر تونس المسماة "ذكلة نور" والتي تعني "أصابع من نور".

أكثر من 200 عين تنبع من تحت الصحراء المجاورة. وبعضها يعتقد أن لها منافع علاجية. لقد توجهنا بالحافلة في طرق مستقيمة كحبل الغسيل. وهناك العلامة المصورة التي تواجهنا أحيانا محذرة من أن هذه المنطقة هي المكان المفضل لعبور الجمال. ومن وقت لآخر تنفرج الصحراء عن واحات مأهولة وهي تخلق الإحساس بأنك تسوق في وسط المحيط.

ومن توزر توجهنا إلى مدينة دوز التي تقع في وسط البلاد حيث كان قد أقيم حفل سنوي يشتمل على سباق للجمال والخيول وتشبيه لمجتمع البدو من أهالي الوبر. وأخذنا برحلة الجمال التقليدية في الصحراء وتغدينا في جو بدوي مصطنع. ثم تلاها سباق الجمال والخيول البهيج. وهذا بالتأكيد هو حدث العام بالنسبة لأهل القرى الصحراوية القريبة. واستمر سيرنا شرقا نحو جزيرة جربة الساحلية. والتي ترتبط ببقية البلد عن طريق المراكب أو بالطريق الروماني. وتقول الأساطير إن عوليس هو الذي اكتشف جربة. ولا يهم إن كان ذلك صحيحا أم خطأ. فإن السياح الألمان، الفرنسيون والبريطانيون قد

تونس التي تقع على ساحل الشمال الأفريقي. ولا تبعد كثيرا عن صقلية. هي بلد صغير لا يتجاوز تعداد نفوسه عشرة ملايين نسمة. وهي تقريبا بحجم ولاية النوبس أو فسكونسن. وتبدو على الخارطة وكأنها تندفع قسرا من أفريقيا إلى البحر الأبيض المتوسط. ولكن في مقابل هذا. حصلت تونس على أجمل الشواطئ في هذا الجزء من العالم وذلك على سواحلها الشمالية والشرقية. وإلى الجنوب تقع الصحراء.

تونس تشتمل على ثلاثة آلاف سنة من الآثار الرومانية. وبضمنها مدينة قرطاج المفقودة وبقايا الملعب الروماني الذي يتسع لحوالي 35 ألف شخص والذي يشابه إلى حد كبير ملاعب روما. وفيه تأثيرات فنون أفريقية. عربية وأوروبية. مما يجعله قبلة للسياح ينبغي اكتشافها. فلم لا؟

ويقول مسؤولو السياحة إن 15 ألف سائح أمريكي يزورون تونس كل عام. وهو رقم ناهه وقد يكون مبالغاً فيه أيضا. لقد قابلت اثنين فقط خلال إقامتي لعشرة أيام. وبلا شك أن الإزهاب قد ألقى بظلاله على السياحة في هذا الجزء من العالم. ورغم أن تونس هي بلد إسلامي. فإنني لم أر أية مظاهر عدائية تجاه أمريكا ولم أشعر بالمضايقة خلال إقامتي.

وأنا في الغالب لا أتسرع في إصدار مثل هذا الحكم بعد سفرة لي لأنه ليس من السهل على المرء أن يتوقع مكان الضربة الإرهابية القادمة. ولكن هذه هي تجربتي على أية حال. وربما يكون موقع تونس بالقرب من أوروبا هو السبب في جعلها مجتمعا مفتوحا. ولنتمنى أن يبقى كذلك.

والنقطة المهمة هي أنه قبل أن تأتي قضية الإرهاب بوقت طويل فإن السياح من أمريكا الشمالية الذين

صورة من سيدي بو سعيد.

View of Sidi Bou Saud.



## سياحة مدن

سباق الجمال المثير في الصحراء.  
Exciting camel races in Douz.

جامع الزيتونة.  
Zitouna mosque.

أنزلت هنا فجأة فربما أنك لن تعرف أية قارة أنت فيها. فضلا عن أي بلد أنت فيه. هذا يدلك على "سياحتها". والتوجه شمالا نحو المنتجع الساحلي. الحمامات. هو أيضا من نوع التحول "أين نحن؟". وتشهد الحمامات انفجارا في حملة بناء الفنادق الراقية والشقق. وهذه المنطقة التي تعرف بـ"رأس الخير" هي الوجهة التونسية رقم واحد بالنسبة للزوار الأوروبيين. وقياسا على ارتفاعات البناء فوق الرؤوس عندما كنا هناك. فإنها ستحتل هذه المكانة لزمن طويل.

وختمنا رحلتنا في المكان الذي ابتدأت به. في تونس العاصمة حيث زرنا آثار قرطاج القريبة. المدينة التي كان الروم يخشونها إلى الحد الذي أمروا معه بتدميرها. وقد جعلوا من أرضها بوارا عن طريق تغطيتها بالملح. وآخر موقف لنا كان في قرية سيدي بو سعيد التي يعود تاريخها إلى القرون الوسطى. وهي حقا جنة صغيرة تبدو من جمالها وكأنها لا تصدق.

وسيدي بو سعيد هي قرية خطتها فنان. مرتكزة على تل وتطل على منظر أخاذ لخليج تونس. وكل شيء هنا هو أبيض وأزرق. بحسب القانون. والطرق الصغيرة الضيقة تبدو وكأنها تكنس مرة كل ساعة أو قريبا من ذلك. ولكن بالرغم من أنها تشبه مسرحا لتصوير الأفلام. فهناك دفة وجمال يتدفق منها على نحو ما خلال البريق.

والسيدة في غرفة الاستقبال بالفندق الذي سكنت فيه تشبه سيدي بو سعيد بعض الشيء. فهي تبسم دائما. أنيقة. وودودة دائما. وأنا أتساءل أحيانا إن كانت حقيقية أيضا. ربما أنني لن أعرف ذلك مطلقا. ولكنها كانت تبدي تلك الابتسامة عندما غادرت. بعض الأمور الغامضة لا تسبب أذى لأي شخص.

## نصائح

- \* ليست هناك إزامات بتأشيرة الدخول ولا الاحتياطات الطبية لمواطني أمريكا الشمالية.
- \* ورغم أن العربية هي اللغة الرسمية. فإن الفرنسية هي الأغلب استعمالا من قبل جميع التونسيين تقريبا. والإلمانية والإيطالية والإنكليزية يجري التخابر بها أيضا في المنتجعات الساحلية.
- \* ورغم أن تونس في العادة تحسب بلدا مشمسًا. فإن الجو قد يصبح باردا من يناير/ كانون الثاني إلى أبريل/ نيسان في الصباح الباكر والليل. ■

